هل التنافس حافز يستنهض التصرفات الإيجابية أم السلبية في النفس الإنسانية؟

مفهوم جديد للتنافس وارتباطه بالطموح والارتقاء استخلصته بعد أن أنهيتُ قراءة كتاب مشوّق لعلومِ إنسانية الإنسان- الايزوتيريك بعنوان «رحلة إلى عالم المجهول». فهذا الكتاب استوقفني مطولاً لما فيه من طروحات ومفاهيم جديدة تستسيغ الفكر. إذ إنه يختصر بعمق وبلاغة إنسانية مسيرة إنسان صمم الانطلاق للتعرّف إلى مجاهل نفسهِ وخفاياها.. وكان بطل الكتاب، بين كل انطلاقة ووصول، يتمرّس في أشكال التحدي كافة مكرساً نفسه لاحتواء المعرفة، للوعي ولخدمة الخير العام... فقد واجه البطل أعنف صراعات النفس، وتحدَّى المصاعب والعثرات التي كانت بمثابة حوافز استنهضت فيه روح الطموح والارتقاء.

هل التنافس وجه آخر للصراع والتحدي أم محرِّض للطموح والارتقاء؟

بقلم: لبنى نويهض
lubna379@hotmail.com
www.esoteric-lebanon.org

ولعلّ العبرة الأهم في الكتاب أنه يحث القارئ على التعرّف إلى مجاهل نفسه لأن في معرفة النفس قوة، والقوة - المعرفة تتحوّل إلى يقين حين يجبلها المرء بالتجارب الحياتية.

ما اطلعت عليه من مفاهيم راقية في الكتاب المذكور غيَّر نظرتي المتوارثة للتنافس كونه شعورا بالحسد والانفراد في الانجاز، أو التسابق في إتمام عمل ذي أهمية، كما حثني للتساؤل: هل التنافس حافز يستنهض التصرفات الايجابية أم السلبية في النفس الإنسانية؟ وما هو الرابط بين التنافس وكل من التحدي والطموح؟

الإنسان.. الأساس

توضح علوم الايزوتيريك أنّ الفهم المطلق للموضوع لا بد أن ينطلق من المحور الأساس، ألا وهو الإنسان نفسه، بالتالي فهم ارتباط التنافس بتصرفات المرء وصراعاته لا بد وأن ينطلق من فهم النفس البشرية الذي يؤكد أن الصراع مزدوج المسار، الأول مسار داخلي- خارجي، والثاني مسار خارجي- داخلي.

فالمسار الأول يبدأ من النفس البشرية، من عمق الصراعات القائمة بين الوعي واللاوعي، بين التصرفات الايجابية والسلبية، وبين الفكر والمشاعر، إلى ما هنالك من صراعات أخرى... فالصراعات الداخلية هذه ستنعكس آثارها لتتمظهَر في صراعات خارجية، وربما قد تتجلى في «تنافسات» بين شخص وآخر مباشرة في خضم الحقل العملي التطبيقي، والعكس صحيح.

أما مسار التنافس، فهو مسار يبدأ من الخارج لينعكس صراعاً في داخل النفس. وهذا ما يؤكد ارتباط مساريْ كل من التنافس والصراع، ويوضح كيف أنّ التنافس هو وجه خفي لصراع النفس.

إنّ المثال التالي يوضح المقصود: موظفون يعملون في الشركة نفسها، أحد الموظفين يحققُ انجازاً يميزه عن الآخرين في عمله ويكسبه مركزاً أرقى في الشركة. فانجاز هذا الموظف قد يكون الشرارة التي توقظ حس التنافس والتسابق عند موظف آخر أو أكثر.

إنّ المثال المذكور يصوّر مسار التنافس الذي بدأ من الخارج بفعل شرارة معينة، هي انجاز الموظف المميز، وانعكس كوجه من وجوه الصراعات الداخلية في نفس موظف آخر. فهذا الصراع قد يكون بين مشاعر الموظف التي قد تتجسد كغيرة وحسد، وبين أفكاره التي تسعى إلى تحقيق انجاز يميزه هو أيضاً ويطور أداءه.

حرية الاختيار

ويبقى للموظف حرية الاختيار في كيفية توجيه التنافس المذكور إما إيجابا لخدمة تطوره الفردي، أو سلباً لتفعيل الجانب السلبي من الصراع الداخلي.

ولكن بشكل عام.. كي ينجح المرء في توجيه أي تنافس إيجابا، عليه أن يحدد الهدف أولاً ثم يسعى إلى تحقيقه عبر تخطي الصراعات الداخلية، الأمر الذي يجعله يتخذ من كل إنسان ناجح مثالاً يتعلم منه ويمتثل به.. وذلك لا يتحقق

كي ينجح المرء في توجيه أي تنافس إيجابا عليه أن يحدد الهدف أولاً ثم يسعى إلى تحقيقه عبر تخطي الصراعات الداخلية

توجيه المرء لأي تنافس إيجابا يستحيل أن يتحقق إن لم يرافق التجدد كل خطوة يخطوها

التنافس هو الحافز الذي يبقي حركة الإنسان في تجدد دائم وهو بمثابة الوقود الذي يستحث الفكر لابتكار الجديد وتحدي النفس في تحقيق كل جديد

إن لم يدرس الإنسان نفسه بكل تجرّد، وينفتح على نفسه ليكتشف النواقص فيها، بالتالي يسعى لتعبئتها من خلال المراقبة والتعلّم والتطبيق. وهذا ما يؤدي بدوره إلى تفعيل الصفات الايجابية في النفس واكتساب صفات جديدة.

أما حين يرفض المرء الانفتاح على مكامن الضعف في نفسه والاعتراف بها، فسيفشل حتماً في تعبئة النواقص في نفسه، وستبرز فيه الصفات الأشد سلبية خاصة حين يواجه تنافساً خارجياً. وهذا مرده إلى عدم نجاح المرء في تخطي صراعاته الداخلية إلى جانب فشله في احتواء انجازات الآخرين. ففي هذه الحالة ، يكون المرء قد وجّه التنافس باتجاه سلبي سيُصَعّد بدوره صراعاته الداخلية ليقع تحت وطأتها وسيطرتها.

التحدي الداخلي والخارجي

يبيّن الايزوتيريك الفارق بين نوعين من التحدي. الأول هو التحدي من الداخل- أي تحدي النفس (defiance)، والثاني هو تحدٍ من الخارج- أي تحدي شخص من الخارج (challenge). إنّ التحدي الذي نحن بصدده هنا هو تحدي النفس بكل ما للكلمة من معانٍ وأبعاد... إنه التحدي الذي يتجاوز الحماس لأنه حماس التطبيق بحكمة، أي بانفتاح كلي.. حماس استيعاب الأمور واحتواء الظروف والأشخاص والمواقف خصوصاً تلك التي تستفز حس التنافس في النفس..

إنّ التحدي الأكبر الذي يرافق المرء عامة وهو يعمل على توجيه التنافس لخدمة تطوره الفردي هو الاستمرارية في تفعيل مستويات متجددة من الحركة التي يمكن أن يحققها على الدوام. هو تحدي انتزاع حركة الجمود من باطنه عبر تحقيق التجدد في أعماقه لينعكس تجدداً في دوائر حياته. ببساطة إنّ توجيه المرء لأي تنافس إيجابا يستحيل أن يتحقق إن لم يرافق التجدد كل خطوة يخطوها. فالتجدد ليس عنصراً كفيلاً لتطور المرء فحسب، بل هو أيضاً العامل الذي يوقظ في نفسه روح الطموح بهدف الارتقاء إلى الأفضل. وأستشهد هنا بما قاله بطل «رحلة إلى عالم المجهول» الذي رغم نجاحه في بلوغ عالم ما.. إلا أنه كان يرفضِ الركود والتوقف في ذلك العالم طارحاً على نفسه السؤال التالي:

«لمَ الركود طالما أني أملك المقدرة على التقدم؟..
فالسعادة لن تبقى سعادة إن هي تجمدت وتوقفت..
السعادة ستفقد شعورها الحقيقي إن استمرت سعادة على الوتيرة ذاتها».

إنّ التنافس ضروري في حياة كل من يطمح إلى التوسّع والانفتاح، التفاعل والارتقاء في حياته على كافة الأصعدة. فالتنافس هو بمثابة الحافز الذي يبقي حركة الإنسان في تجدد دائم. هو بمثابة الوقود الذي يستحث الفكر لابتكار الجديد وتحدي النفس في تحقيق كل جديد.